



توقف عند حرف السين



حسني سيد لبيب - مصر



- كم معك؟
أضحكه:

- معي خمسة جنيهات، أشتري
منها سندوتشات وجريدة، وقهوة.
يستفزه كلامي..

- أقصد ثروتك..

- راتبي أصرفه بالكامل..

عند وصولنا الشركة، يتجه إلى
عنبر إنتاجي، وأتجه إلى آخر..
حمدت الله أننا نعمل في عنبرين
مختلفين.

مضت بنا سنوات، حتى أحلت
إلى المعاش، بينما استمر يعمل بعدي
سنة كاملة. ومنذ انفصلنا، لا يجمعنا
عمل، أو سيارة. ارتحت من مضايقاته

أعرفه تمام المعرفة. ولأنني أعرفه أتحاشاه. علاقتي به سطحية. حاول
التقرب مني. كلما جدّ في ذلك تباعدت عنه. تجمعتنا سيارة الشركة كل
صباح، متجهين إلى المصنع بحلوان، والعودة في المساء. يركب من مكان
وأركب من آخر. يجمعنا مقعد السيارة الأمامي. نمكث فيها قرابة الساعة،
يتحدث فيها عن مشاريعه وتطلعاته. يقترح علي مشاركته في أمور، ك شراء
قطعة أرض مناصفة، أو استئجار محل، أو عمل مشروع تجاري. إلا
أن اقتراحاته كلها تلقى صدودا مني. يستفزني سؤاله الذي لا يمل من
تكراره:

وتطفله وفضوله ..

أبي - رحمه الله - نصحني كثيرا:

- لا تعط شرك لأحد ..

التزمت بالنصيحة، فكتمت أموري عن الآخرين.

في اليوم الأول لتقاعده، زارني فجأة. قدمت الشاي والحلوى، وإن استغربت زيارته المفاجئة. أيا كانت الظروف، من الواجب الترحيب به. تحدثت معي في أمور شتى. ثم - كعادته - بدأ يعدد لي مشروعاته المستقبلية. جذبت طموحه، وإن كنت لا أحب أن أشاركه أو أشارك غيره. أتذكر ما قاله والذي مشيحا بيده في غضب، وهو يسرد مشاكل البيت الذي اشتراه مناصفة مع عمي، وكان سببا في نزاعات كثيرة بينهما:

- يغور البيت.

أعاد سؤاله الذي سألني إياه مرات عديدة:

- كم معك؟

- أنت أدري بما معي.. ألم تحسب معاشك، وصندوق الزمالة، ومكافأة نهاية الخدمة.. إلى آخره؟

قال ملتقطا الخيط من طرفه:

- حرام عليك، تبديد الثروة في شراء الملابس والأجهزة..

قلت محاولا سد الباب الذي يفتحه:

- لست متحمسا للمشروعات.. المبلغ الذي تسلمته وضعته وديعة في البنك، وأكمل معاشي بما تدره الوديعة..

ضربت كفا بكف:

- الحمد لله.. مستورة..

أطرقت هنيهة، ثم قلت:

- لماذا تصر على مشاركتي؟.. نفذ

مشاريعك وحدك، والله يوفقك..

قال متخابثا:

- ترفض مشاركتي حتى لا

تصارحني بقيمة ثروتك..

قلت في حزم:

- لكل شأن يعنيه..

أطال الجلوس حتى ضجرت..

تململت في جلستي.. أفهمته أن موعدا مُمهما حان وقته..

نظرت إلى ساعتي.. انتفض منصرفا، فاستشقت الصعداء..

قطعت - غير آسف - كل

علاقة تربطني بالمليجي. إن صادفته عرضا في نهر الطريق، نكصت على عقبي حتى لا أعبر هذا النهر. أو أحياه بابتسامة ثلجية، وأمضي في طريقي.

هل علينا عيد الفطر.. كعادتي

في هذه المناسبات، أفتح أجندة الهواتف بدءا بالألف وانتهاء بالياء. أتصل بأقاربي وأصدقائي، أهنئهم بالعيد السعيد.

عند حرف السين، كانت لي

وقفعة. وجدت اسمه مدسوسا في زحام الأسماء. وضعت الأجندة على المنضدة، وتمددت على الأريكة محدقا في السقف، وطفقت أفكر وأفكر. هل أتصل به أو أغفل اسمه؟ إذا اتصلت، ربما ينتهز الفرصة ويسعى إلى تمتين علاقته بي. صوت العقل يلح عليّ كي أتجاوز اسمه، وصوت القلب يدفعني إلى الاتصال

به. تغلب الصوت الثاني، صوت العاطفة. هنأته بالعيد، وسألت عن أولاده. شكرني، ووجدها فرصة ليسأل:

- ماذا تفعل؟ هل وجدت عملا؟

- لا.. ليس في ذهني شيء من هذا. أشتري طلبات البيت من خضار وفاكهة وبقالة وعيش، وحين تعود زوجتي من عملها، تبدأ في إعداد الغداء، أو تكمل إعدادها، فهي تقتطع جزءا من المساء لتجهيز الخضار واللحم بحيث لا يتبقى سوى الطهي على النار. حياة اعتدناها وألفناها..

قال:

- عليك أن تشغل نفسك بعمل ما..

تصطك أسنانه وهو يتكلم. يخبط بقبضة يده على منضدة أتخيلها موضوعة أمامه. هكذا كنت أراه يفعل في لقاءاتنا.. كان يهز كتفي بكفه المبسوطة، وأصابعه الممتدة كحد السيف..

انقطعت صلاتي به شهورا عديدة تقترب من العام. وأحسب أن هذه القطيعة كفيلة باختفائه من حياتي. وفجأة رن جرس الهاتف، فإذا بالمتحدث سيد المليجي، الصديق اللدود! كان يتكلم بلهجة متسريعة، ذكرني فيها بأنه طلبني عبر الهاتف خمس مرات، لا أعلم عنها شيئا. ولما أنكرت علمي بها، ذكرني بمكالمتي له، للتهنئة بالعيد.. أذكر تلك المكالمات البعيدة؟ ياله من شخص غريب الأطوار. قال بلهجة موجهة:

- لماذا طلبتني؟

- غريب أمرك.. هل التهنئة
بالعيد تضايقك؟

عاد يناورني:

- طلبتك بعدها خمس مرات ولم

ترد علي..

- أكرر لك.. لا علم لي بها..

فاجأني بأمر آخر. قال دفعة
واحدة:

- أنت تعتمد تشويه صورتي

والإساءة إلى سمعتي..

- هكذا.. كيف؟

- أصدقاء حذروني منك..

- هل ذكروا اسمي؟

- فهمت من كلامهم أنك أنت

المقصود..

- لا تسئ الظن.. إن بعض الظن

إثم..

استمعت كلماته بالتهديد والوعيد..

بدا لي في أسوأ حالاته، حتى ظننت

أن مرض القلب الذي ابتلي به قد أثر

في تفكيره.. حاولت استمهاله، حتى

يلتقط أنفاسه، إلا أنه واصل إطلاق

الكلام على عواهنه، دون أن يعطيني

فرصة للدفاع عن نفسي. وأنهى

حديثه المتشنج المبتور بغلق سماعة

الهاتف، دون سلام ودون مقدمات

أو نهايات.. تصلبت الكلمات على

شفتي، دون أن أستطيع النطق بها!

ارتيمت على الفراش منهوك

القوى، مبلبل الفكر. وقعت في حيرة

شديدة، ذلك أن كلام المليجي لم يكن

مرتبا أو مفهوما. حاولت التقاط

طرف خيط من الخيوط، فتاهت

مني الأطراف كلها!

أسترجع صورة المليجي حين

تأخرت سيارة الشركة، ورأيته يقبل
نحوي.. (كنا نركب من مكانين

مقاربين).. قال:

- تأخر السائق..

- ننتظر قليلا..

وضع يديه في جيبه كالمحتضر

لفعل شيء. شاركني الصمت، ثم قال

في حزم:

- تأخر ساعة كاملة.. لن يجيء..

قلت:

- تعال نستقل سيارة عامة..

قال في حزم:

- قبل ذلك.. نبغ رئيسه في

الشركة..

واتجهنا لأقرب هاتف في الشارع.

طلب رئيسه الانتظار في أماكن ركوبنا

حتى يتدبر سيارة بديلة. قال المليجي

بصوت غاضب:

- عليكم محاسبة السائق..

ثم أمسك بذراعي طالبا مني

مصاحبته إلى قسم الشرطة لعمل

محضر. قلت وأنا مندهش:

- نكتفي بشكوانا لرئيسه.

- لا يكفي..

شدني بقوة من ذراعي، فانصعت

له وأنا غير مقتنع. وقفت بعيدا

عن الضابط بخطوة إلى الوراء.

تركته يسرد شكواه. قال الضابط

مستغريا:

- هذا شأن داخلي بينك وبين

الشركة..

- من حقي تحرير المحضر

لإثبات الواقعة..

- أية واقعة..

- التأخير..

انصاع الضابط لعمل محضر،
وظلني أنه سيحتفظ بالمحضر ضمن

أوراقه، ولن يرسله إلى جهة ما..

اجتررت الواقعة، وأنا أعجب

لشخصيته غريبة الأطوار..

الآن.. ما الإجراء الذي سيتخذه

ضدي، بعد ما أسأت إليه وإلى

سمعته، على حد زعمه؟ التشهير

به والإساءة لسمعته أمران خطيران

حقا. أنا لم أشهر به ولم أسئ إليه.

ظن أمرا وصدقه..

صدمني بإغلاق السماعة

مقاطعا كلامي..

هل أذهب إليه وأدافع عن

نفسي؟

ذات مرة حكى لي ما دبره لجاره

إذ حرر ضده محضرا، مدعيا فيه

أن جاره هجم عليه وهو في شقته،

وانهال عليه ضربا ولكما وشتما.

وطالب حماية الشرطة له من

اعتداءاته. قدم للضابط التقرير

الطبي المعتمد من المستشفى، يفيد

فيه بوجود إصابات وكدمات في

وجهه ورأسه.. داخ جاره في سبع

دوخت لإثبات براءته، وإلغاء الحكم

الغيابي الصادر ضده بالحبس ستة

أشهر..

استغرقت القضية سنتين كاملتين،

حتى حصل على حكم بالسجن مع

إيقاف التنفيذ. قلت له:

- حرام عليك.. تلفق تهمة

لجارك لمجرد قطرات ماء تتساقط

من غسيله.. شيء تافه لا يستوجب

الاستعداد، وإلحاق الضرر به.

ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول: